-٣-

خليل السكاكينى
رائد مجدد فى الأدب العربى المعاصر
١٨٧٨ - ١٩٥٣

ما ندمت على احجامى عن لقاء معلم أديب لا ينسى كما ندمت على إحجامى عن لقاء أكبر أديب ومعلم فى عصره ووطنه.

أنبتته القدس بفلسطين عام ١٨٧٨ قبل نكبة العرب باحتلالها واغتصابها وكان رائداً من رواد الأدب العربى المعاصر وقد شارك فى الدعوة لتحرير الأدب من التكلف والتقليد، وبقى خليل السكاكينى دائباً على تحرير الفكر والتعبير فى حياته وفى مؤلفاته بعد وفاته.

وقد حملت لقب هذا المعلم الأديب من والدى محمد السكاكينى الذى كان يقول: أنا اليوم لبنانى وإن تكن لى جذور لأجدادى مصرية وكان أخى الأكبر خليل سمياً لهذا الأديب

المجد،على أنى لم أسع إليه فى وطنه القدس أو فى القاهرة بعد تشريد الفلسطينيين عن ديارهم وبلادهم فقد تهيبت لقاء هذا الأديب بل ٣٠تحرجت من هذا اللقاء إذ قيل لى إنه حزين ومفجوع بوحيد سري وبزوجته سلطانة ومدينة القدس وكنت خجلة وجلة من ربى ومن نفسى.

ولو لقيته لسألته عن أصله وأهله، وعن لقبه الذى تلاقى عنده عقيدتان فى وجه الحق والسلام.

فلئن فاتنى فى حياتى هذا اللقاء فما فاتنى هدفه بعد غيابه عن الدنيا ـ فيما رأيت وسمعت أو قرأت فى ذكرياته بيومياته ـ إذ قال فيها: « أنا لا أنتمى إلا إلى نفسى فأنا خليل السكاكينى » وكأنه بقوله هنا يريد أن يقول إن الإنسان بعقله لا بأصله وأهله، على أنه قال: جاء جدى الذى لم أعرف اسمه قبل أربعة قرون إلى القدس ليعمل فى التجارة ويجاور الأماكن المقدسة وقد عرف خليل جدته اليونانية التى علمت أباه لغتها وكان والده من تجار الخشب وكان متعلماً يعرف لغة أمه اليونانية والروسية والتركية حتى أنه كان يدعى فى العهد العثمانى للترجمة إذا نزل القدس غريب عنها. ولقد أنبتته القدس خليلاً الذى عرف بمكارم الأخلاق واختارت أباه طائفة الارثوذكس ممثلاً لها فى أكثر المجتمعات الخيرية وفى الحكومة العربية. كان خليل السكاكينى رائداً من رواد التجديد فى الأدب العربى المعاصر وكان معلماً للأدباء وأديباً ومؤدباً للمعلمين، وقد عرفته بلاده الفلسطينية كما عرفته مصر والبلاد العربية.

تعلم خليل السكاكينى العربية من أكبر معلميها فى أيامه وهو نخلة زريق الذى كان عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق ثم عضوا فى مجمع فؤاد بالقاهرة. وقد تخرج خليل من الكلية الانكليزية فى القدس. وفى مطلع هذا العصر أخذ فى تعليم نفسه بنفسه وتأديبهاحتى غدا فى بلاده أكبر أديب ومعلم، على أنه لم يحمل أية إجازة جامعية أو اختصاص بالتربية بل كان بالفطرة والممارسة مربياً ومعلما.

عين السكاكينى، خليل فى عهد الانتداب البريطانى عام ١٩٢٢ لتدريس المعلمين وفى عام ١٩٢٥ عين مفتشاً عاماً للمعارف الفلسطينية وفى عام ١٩٢٦ عرض عليه أن يكون فى البرنامج العربى مديراً ومراقباً فرفض هذا المنصب وقد علق على كلامه بأن الإذاعة كانت تتصل باسرائيل.

وفى العقد السابع على تأسيس الانتداب الانكليزى على فلسطين قال خليل السكاكينى: سأقى رجلاً بلا ارتباط سياسى فلا أنتمى إلى حزب أو جماعة بل سأبقى عاملاً لمصلحة الشعب الذى أعيش بينه، لكن توقعاته تغيرت إزاء الظروف السياسية التى مرت بها فى أثناء الحرب العالمية الأولى ودعوته للإنسانية ومن تهديد « الصهيونية » لعرب فلسطين وتأييد بريطانية للصهاينة جعل السكاكينى قومياً أكد تلاميذه اعتزازه بالجنسية العربية وأخذ يبشر فى مقالاته بالقومية العربيةوأن أقوم مقوم للأمة العربية هو لغتها وهاجم

السكاكينى الذين يستخدمون الانكليزية والفرنسية فى الحديث وهم من العرب، وقد كشف عن الضعف العربى المعاصر، غير أنه لم يكن حراً فى هذا الاتجاه وظهر فى الثلاثينيات جيل من الكتاب كانوا أصغر منه سناً، فيهم قدرى طوقان الذى أتم تعليمه فى الجامعة الامريكية فى بيروت. وفى أثناء الحرب العالمية الأولى أقام خليل السكاكينى فى دمشق وعقد صداقة وعلاقة مع الشاعر والصحافى خير الدين الزركلى الدمشقى وأتيح له أن يطلع على النهضة الأدبية العربية فى مصر فانتقل إلى القاهرة وعين مديراً لإحدى المدارس الارثوذكسية الخاصة ولم تكن مصر فى ذلك العهد تدعى زعامة النهضة الأدبية للعالم العربى فحسب بل كان هناك اتجاه يتبلور بين المثقفين المصريين.

وقد عاش السكاكينى بعد هجرته إلى مصر يؤمن بأن وطنه هو الوطن العربى كله وقد اختير فى مصر عضواً فى مجمع فؤاد للغة العربية خلفاً للشيخ مصطفى عبد الرازق وعضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق خلفاً لاستاذه نخلة زريق، وقد جمعت يومياته بعد وفاته فى كتاب بعنوان كان يردده فى حياته.

أنشأ خليل السكاكينى مع الاستاذين إبراهيم الخورى ولبيب غليقة كلية النهضة الثانوية وبقى يديرها حتى وقعت نكبة فلسطين فجاء مصر واقام فيها وفجع بولده الوحيد « سرى بعد أن فقد زوجته سلطانة فضعضعته هذه النكبات وقضت عليه. ومن مؤلفاته: الجديد فى القراءة العربية؛ سيرى الدليل؛ مطالعات؛ ماتيسر؛ لذكراك فلسطين بعد الانتداب.

وكان ممن رثوه فى مقالات: عيسى الناعورى الأردنى وزكى مبارك المصرى ورفيق الحسينى الفلسطينى.

ومن أصدقائه: اسعاف النشاشيبى واسحق موسى الحسينى وغيرهما كثير وكانت وفاته فى القاهرة حيث دفن فيها.

أما كريمتاه: هالة ودمية فهما تحترفان مهنة التعليم فى.. رام الله.

* * *